

الوعي الجمالي في القرآن الكريم Aesthetic Awareness in the Holy Quran

وحيد حرحوز*

جامعة البويرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، -ou.harhouz@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2025/11/03؛ تاريخ القبول: 2025/12/15؛ تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

يسعى البحث للكشف عن حضور الجمال في الخطاب القرآني، من خلال تعريفه، وبيان عناية القرآن به؛ حيث ربطه بكلٍّ من الخير والعدل، واعتبره قيمة إيمانية قبل أن يكون حسًّا إدراكيًّا، كما تناول البحث أثر الجمال على النفس؛ حيث جبلت على الإحساس به والأنس إليه، وقد امتاز الجمال في القرآن الكريم بالعديد من السمات، منها: السلامة من العيوب، القصد، التناسق، التنظيم، التنوع. كل هذا يظهر أن الجمال في القرآن ليس مجرد مفهوم تجريدي، بل مقصد يدل على عظمة الخالق، ومطلب تهفو إليه النفوس في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: الوعي؛ الجمال؛ القرآن؛ الحُسن.

Abstract:

The research addressed the topic of the expiation for accidental killing the research seeks to reveal the presence of beauty in the Qur'anic discourse by defining it and clarifying the Qur'an's care for it; as it linked it with both goodness and justice, and considered it a faith value before being a perceptual sense. The research also addressed the impact of beauty on the soul, as it is naturally inclined to feel and find comfort in it. Beauty in the Qur'an is blended with many characteristics, including: freedom from defects, intentionality, harmony, organization, and diversity. All of this shows that beauty in the Qur'an is not merely an abstract concept but a purpose that

indicates the greatness of the Creator and a goal to which souls aspire in this world and the hereafter.

Keywords: Consciousness; Beauty; The Quran; Goodness

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإنّ الإحساس بالجمال نزعة فطرية أودعها الله تعالى في الإنسان، تهفو إليها نفسه وتأنس بها روحه، فهي من القوى الدافعة التي تهذب الذوق، وتقوّم السلوك، وترتقي بالإنسان في مدارج السمو والكمال. وكلما نما الوعي الجمالي في الإنسان وتربى على إدراك مواطن الحسن في الأشياء، انعكس ذلك على سلوكه، فصار أكثر اتزاناً ورحمة ورقياً في تعامله مع ذاته ومع الكون من حوله.

ولقد حظي مفهوم الجمال باهتمام الإنسان منذ القدم؛ إذ نشأ معه السؤال عن ماهيته ومصدره ووظيفته، ومع تطور التجارب الحضارية تعددت النظريات حوله، حتى غدا الجمال من أعقد المفاهيم التي شغلت الفكر الإنساني؛ حيث اجتهدت الفلسفات القديمة والحديثة في تفسيره ضمن إطار عقليّ محض، لكنها لم تخلُ من الاضطراب والتناقض، حين فصلت الجمال عن مصدره الإلهي، فحوّلت من قيمة مطلقة إلى قضية نسبية، تتبدل بتبدل الأذواق والأزمان، وهو ما يعكس عجز الفكر الإنساني عن إدراك حقيقة الجمال حين ينأى عن الوحي الإلهي وهداية الدين الحق.

أما في الرؤية القرآنية، فإنّ الجمال قيمة إيمانية قبل أن يكون حسّاً إدراكياً، وقد أشار القرآن إلى أبعاده القيمية والسلوكية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "الوعي الجمالي في القرآن الكريم" محاولةً للكشف عن حضور الجمال في الخطاب القرآني، وبيان خصائصه ومقاصده، من خلال مقارنة تجمع بين التحليل الدلالي والبياني والمقاصدي، سعياً إلى إبراز توظيف القرآن الكريم للبعد الجمالي في بناء الإنسان، وترسيخ قيم الخير والحق والجمال في وجوده.

إشكالية البحث:

تتمثل الإشكالية المركزية للدراسة في التساؤلات الآتية: ما المقصود بالجمال في المنظور

القرآني؟ كيف أسس القرآن الكريم لمفهوم الوعي الجمالي في النفس الإنسانية؟ ما مقاصد الجمال في الخطاب القرآني، وما أثره في تهذيب السلوك وبناء الوجدان؟ وما الخصائص والسمات التي تميز الجمال في القرآن عن غيره من التصورات البشرية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى: تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للجمال وتمييز خصوصيته في السياق القرآني، وبيان أثره في تزكية النفس وتوازنها، واستجلاء المقاصد التربوية والإيمانية للجمال في القرآن الكريم، ثم إبراز السمات الجمالية التي وسمت الخطاب القرآني.

منهج البحث:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي، من خلال تتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الجمال أو دلالاته، وتحليلها في ضوء التفاسير المعتمدة، مع الاستئناس بالمنهج المقارن في دراسة الفروق بين التصور القرآني للجمال والتصورات الفلسفية أو الأدبية الأخرى، للوصول إلى تصور قرآني متكامل للجمال ومقاصده.

خطة البحث:

انتظمت هذه الورقة البحثية في خمسة مطالب رئيسة؛ خصص المطلب الأول لتعريف الجمال لغة واصطلاحاً، وجاء المطلب الثاني لبيان التعريف القرآني له، أما المطلب الثالث فتناول أثر الجمال على النفس الإنسانية، وتضمن المطلب الرابع مقاصدية الجمال في القرآن الكريم، في حين خصص المطلب الخامس لعرض سمات الجمال في القرآن الكريم. اتبعته بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

المطلب الأول: تعريف الجمال لغة واصطلاحاً

من الشروط الواجب توفرها في البحث العلمي؛ تحديد المصطلحات المفتاحية الواردة في صياغة العنوان؛ لذا يأتي هذا المطلب للتعريف بالجمال لغة واصطلاحاً.

1- تعريف الجمال لغة:

بتتبع كلمة "الجمال" اتضح أن أقدم المعاجم قد استخدمت اللفظ للدلالة على الحُسْن في الصورة والهيئة، وهذا ما أورده الخليل في كتابه "العين".

ثم تطور المفهوم بعدها لدلالة على معنيين رئيسين: أحدهما ظاهر يتعلق بحسن الهيئة والمظهر، والآخر باطن يتصل بحسن الأفعال والصفات والأخلاق. وأصل الكلمة من الفعل "جَمَل"، فيُقال: رجل جميل وجُمال، وامرأة جميلة وجملاء. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 6]، أي بهاء وحسن يُرى في منظرها وحركتها⁽¹⁾، مما يدل على أن الجمال يتجاوز الصورة الحسية إلى المعنى الذي يبهج النفس ويستميلها.

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الحُسْن والجمال، فالحُسْن - في رأيه - يُطلق ابتداءً على الصورة والمنظر، ثم يُستعمل مجازاً في الأفعال والأخلاق، بينما الجمال عنده يرتبط في أصله بالأفعال والأحوال الظاهرة، ثم انتقل إلى الصور الحسية. ويَبَيّن أن الحُسْن يشمل كل ما يُدخل السرور على النفس، سواء أدركه العقل أو الحسّ أو مالت إليه الفطرة⁽²⁾.

وفي العصور اللاحقة، نقل التهانوي أن الجمال مرادف للحُسْن، وهو ما تؤكد كُتب اللغة حين تقول: "جَمَلَهُ اللهُ؛ أي جعله حسنًا جميلًا"، مما يبيّن التلازم بين اللفظين في الدلالة على البهاء الظاهر والسمو الباطن⁽³⁾.

أما في المعاجم الحديثة، فقد جاء في المعجم الوسيط أن الجمال "صفة تُدركها النفوس السوية فتستحسنها وتميل إليها"⁽⁴⁾، وهو تعريف يركّز على الأثر النفسي للجمال في المتلقي، ويعبّر عن تطور المفهوم من المظهر الخارجي إلى تجربة شعورية داخلية.

يتبين من هذا العرض أن مفهوم الجمال في اللغة تطوّر من الدلالة على الحسن الظاهر إلى الجمع بين الكمال الحسي والمعنوي، فهو حسن في الخلق والخلق، في الشكل والمضمون، في الظاهر والباطن، وهو انعكاس لتوازن الشيء وكماله بحسب ما يليق به من صفات.

2- تعريف الجمال اصطلاحاً:

رغم انشغال الإنسان منذ القدم بمفهوم الجمال وماهيته، إلا أن العلماء والفلاسفة

(1)- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط:1، دار الحديث، القاهرة، (1423هـ/2003م)، مادة جمل، ج2، ص209..

(2) - ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ط:1، دار العلم للثقافة، القاهرة، (د.ت)، ص262.

(3)- ينظر: محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ط:1، ت: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1963، ص34.

(4)- ينظر: إبراهيم أنس، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م، ج1، ص136.

لم يتفقوا على تحديد دقيق لحقيقته. ذلك أن الناس يجتمعون عادة على الإحساس بجمال الشيء، لكنهم ما إن يشرعوا في تفسير مصدر هذا الجمال حتى تتعدد آراؤهم: هل يكمن في نفعه ومردوده على الحياة؟ أم في صورته وتكوينه بغض النظر عن المنفعة؟ أم أن وراء ذلك سبباً آخر يتصل بالذوق والإحساس الفردي؟⁽¹⁾

وتكمن صعوبة تعريف الجمال في كونه معنى لا وجود له بذاته، بل يظهر من خلال الأشياء التي يتصف بها، فهو لا يقوم بنفسه وإنما بغيره. ولعل هذا ما يجعل النفس الإنسانية تقف أمام الجمال موقفاً مزدوجاً؛ فهي تميل إليه فطرياً وتأنس به سريعاً، لكنها في الوقت نفسه تعجز عن وضع حد جامع لمعناه؛ لأن الإحساس بالجمال تجربة وجدانية لا منطقية، تخضع لمشاعر الذوق والوجدان أكثر من خضوعها للعقل والبرهان. ولهذا قيل إن البحث في الجمال يواجه صعوبة في التعريف ما دمنا نتحرك في مجال الشعور لا في ميدان الفكر المجرد.

ويرى الدكتور عبد القادر بوعرفة أن الجمال عصي على التحديد، وأن محاولة حصره في تعريف أو إخضاعه لمعايير جامدة تفقده روحه؛ لأن كل محاولة لتقنيه أو تأطيره تنتهي إلى نفي الجمال نفسه. فالجمال في نظره ليس علماً دقيقاً ولا فناً خالصاً، بل حالة وسط بينهما، تتسم بالمرونة والانفتاح، وتنفر من القيد والجمود، وإن كانت تستند في وجودها إلى قيم ومعايير سامية⁽²⁾.

وللتقليل من الإشكال الاصطلاحي في تعريف الجمال، تناول الدكتور البيروني مفهومه من أربع زوايا أساسية:

. من الجانب الاجتماعي: يُنظر إلى الجمال على أنه إحساس ينتج حين يبلغ الشيء درجة من الإتقان والكمال.

. من الجانب النفسي: يُفهم الجمال باعتباره قيمة تنطوي عليها الصور والمعاني المنتشرة في الكون، يدركها العقل، وتستشعرها النفس، ويستجيب لها السلوك استجابة إيجابية لما تحدثه من لذة ورضا داخلي.

(1)- ينظر: زكي نجيب محمود، هموم المثقفين، ط:1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1989، ص249..

(2)- ينظر: عبد القادر بوعرفة، سؤال المعنى، ط1، دار الغرب، وهران، 2005.

. من الجانب التربوي: يُعدّ الجمال كملاً في الأعضاء وتناسقاً بين الأجزاء يبعث على القبول في النفس، وهو نوعان:

أ . الجمال المثالي الموضوعي: وهو الجمال المطلق الذي يدركه العقل المستنير، لا الحواس المتقلبة، ولذلك فهو ثابت غير نسبي.

ب . الجمال المادي الحسي: وهو ما تدركه الحواس، ولذلك فهو نسبي متغير، يتأثر بالعادات والتقاليد والظروف الاجتماعية.

. من الجانب الفلسفي: يتحقق الجمال حين يكون الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه، أي عندما يتناسب الموصوف مع صفته، وتنسجم الصورة مع معناها؛ فالقبح هو غياب هذا التناسب، والجمال هو تمام الانسجام بين الأجزاء والصفات⁽¹⁾.

وبناءً على ذلك، فإن التناسب هو المعيار الأهم في الحكم على الجمال، سواء أكان في تناسق الألفاظ والمعاني أم في انسجام الظاهر مع الباطن. ومن هنا كان أسى أنواع الجمال وأكملها إدراك جمال الله تعالى في خلقه وتدبيره؛ إذ إن كل جمال في الوجود ما هو إلا أثر من آثار جمال الخالق، فكل ما نراه من بهاء وكمال في الدنيا والآخرة إنما هو تجلٍ لصنعه سبحانه، فكيف بجمال من صدر عنه هذا الإبداع كله؟

المطلب الثاني: التعريف القرآني للجمال

يعتبر الجمال أحد الأركان الثلاثة الكبرى للقيم التي شغلت الفكر الإنساني منذ بداية مسيرته على الأرض، وهي الحق والخير والجمال. وقد سعى الإنسان في مختلف العصور إلى فهم هذه القيم وتحقيقها، غير أن تفكيره فيها كان مضطرباً ومتناقضاً حين انفصل عن الهدي الإلهي، فحوّلها إلى مفاهيم نسبية فاقدة للثبات والاتساق. وهذا هو شأن الفكر البشري عندما يبتعد عن نور الوحي، إذ يتخبط في أوهامه ويضل في متاهات الظنون⁽²⁾.

أما القرآن الكريم فقد تناول الجمال في ارتباط وثيق بكلي من الخير والعدل، فحين

(1)- ينظر: أحمد البيرودي، جماليات تناسب اللفظ والصورة في القرآن لفظة "خاوية" دراسة جمالية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مجلد 31، عدد 1، 2023، ص 347/346.

(2)- ينظر: محمد البكوش، النظرة الجمالية في التعبير القرآني، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. مجلة اللغة العربية وأدائها المجلد الأول العدد الرابع سبتمبر 2022م ص 32.

يقترن الجمال بالخير يتحول إلى قيمة إنسانية سامية، وحين يرتبط بالحق يكتسب بعداً عالمياً شاملاً، وبدونهما يفقد الجمال جوهره ويغدو قيمة ناقصة مشوهة الأثر.

ويشير محمد الراشد إلى أن الفكر الإنساني أخفق في وضع معايير دقيقة وثابتة للجمال بشقيه الحسي والمعنوي، بينما قدّم القرآن الكريم تصوراً متوازناً ومحكماً لهذه القيم، يجعلها وسيلة لارتقاء الإنسان ومجتمعه نحو غايته العليا في الاستخلاف والإعمار. وقد وردت لفظتا "جميل" و"جمال" في ثمان آيات من القرآن الكريم، تناولت واحدة منها الجمال الحسي، في حين تناولت السبع الأخرى الجمال المعنوي والأخلاقي.

فالجمال الحسي يظهر في كل مخلوق متناسق الخلق، سليم البنية، خالٍ من التشويه أو الاضطراب. وقد أبدع الله تعالى هذا الكون في أبهى صورة وأجمل نظام، فكانت مظاهره الكونية البديعة شواهد على قدرته، وآيات على ربوبيته ووحدانيته. والإنسان في تعامله مع هذا الجمال شبيه بتعامله مع سائر النعم الإلهية؛ فمنهم من يتعامل معه بالشكر والتأمل، ومنهم من يغفل عنه أو يتجر به.

ولو تأملنا المنهج القرآني في عرض الجمال لوجدناه متفرداً في تناوله؛ فهو لا يعرف الجمال تعريفاً نظرياً، بل يبيّنه من خلال آثاره وتجلياته. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في وصف نعيم الجنة: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71]، فالآية تظهر أن لذة البصر أثر من آثار التمتع بالجمال. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهَا﴾ [الأحزاب: 52] فهو تعبير دقيق عن تفاعل النفس البشرية مع ما تدركه من جمال.

وقد لفت بعض الفلاسفة إلى هذا المعنى؛ حيث يرى "كانط" أن الجمال هو ما يبعث في النفس سروراً عاماً دون حاجة إلى تصور محدد، بينما يرى "برادين" أن الجمال يتمثل في كل ما يأسر النفس ويخطف لَهَا، ولا مبدأ آخر له سوى هذا الشعور الفطري الصادق⁽¹⁾.

المطلب الثالث: أثر الجمال على النفس الإنسانية

لقد جُبلت النفوس على الإحساس بالجمال والأنس به والميل إليه؛ إذ يمثل هذا الميل

(1)- ينظر: صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ط1، المكتب الإسلامي، سوريا، 1986هـ، ص116.

جانباً أصيلاً في تكوين الإنسان ودليلاً على صفاء فطرته واستقامة ذوقه. فالشعور بالجمال أمر فطري مغروس فيه، يظهر منذ بدايته الأولى؛ فالرضيع يهدأ ويستكين حين يسمع صوت أمه العذب، لما يجده في نغماته من راحة وسكينة.

كما يظهر هذا الميل في سلوك الإنسان اليومي، فالبائع مثلاً يسعى إلى ترتيب بضاعته وتنسيقها في صورة جذابة تُرضي العين وتستهوِي الزبائن، تعبيراً عن نزعة داخلية إلى إضفاء الجمال على ما حوله.

إنَّ رغبة الإنسان في تحسين المظهر أو تزيين الأشياء إنما تنبع من حاجة نفسية فطرية للتعبير عن ذوقه الجمالي، ولتحقيق التقدير الاجتماعي، وهي في جوهرها استجابة طبيعية لنداء الجمال الكامن في ذاته؛ إذ لا يمكن دراسة مظاهر الحياة الإنسانية بمعزل عن بعدها الجمالي الذي يطبعها بطابع خاص.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه النزعة الأصيلة في النفس البشرية من خلال تصويره البديع للمشاهد الطبيعية والسنن الكونية، ومن أروع الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ﴾ [الرعد: 17]. فالآية تشير إلى أَنَّ الإنسان حين يوقد النار لصهر المعادن، فإنَّ غايته من ذلك إما الحصول على الحلية، وهي رمز التجميل والزينة، أو تحقيق المنفعة المادية من المتاع. وفي هذا التصوير القرآني دلالة عميقة على أَنَّ نزعة التزيّن وحب الجمال متجذّرة في كيان الإنسان، فهي حاجة فطرية تدفعه نحو الإبداع والتشكيل، كما تعبّر عن توازن روحي وجمالي في علاقته بالعالم من حوله⁽¹⁾.

المطلب الرابع: مقاصدية الجمال في القرآن الكريم

يُعَدّ الجمال في المنظور القرآني مظهرًا من مظاهر المقاصد الإلهية في الخلق، إذ لا يُنظر إليه على أنه مجرد قيمة حسية أو ترفٍ بصري، بل هو تجلٍّ من تجليات الإحسان الإلهي في الكون، ودليل على الحكمة والقدرة والإتقان؛ فالنفس السليمة بما أودع الله تعالى فيها من فطرة نقية وذوق سليم، تدرك الجمال في كل ما يحيط بها، وتستشعره في مشاهد الطبيعة ومظاهر الحياة؛ تراها تنبهر بجمال السماء حين تتلأأل نجومها فتزنيها، وتتعجب

(1)- ينظر: صالح الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ط1، ص26.

من بهاء الليل حين يلقي ستاره فيغمر الأرض بسكونه، ثم تفرح مع بزوغ الفجر حين تنسحب خيوط الظلام أمام أنوار الصباح. إنه تتابع جمالي بديع، جمال يعقب جمالاً، في مشهد لا يملّ الإنسان تأمله لما فيه من روعة النظام ودقة التناسق؛ فالجمال في الخلق الإلهي سمة ثابتة تدعو النفس إلى التأمل والانفعال، وتوقظ فيها الإحساس بالمبدع الأعظم سبحانه وتعالى، إذ حيثما توجه البصر يجد ما يثير الإعجاب ويبعث الدهشة، فيمتلئ القلب بالخشوع والإجلال لله تعالى.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الإتقان بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، وهي آية جامعة تُبرز أن كل مخلوق في هذا الوجود قد وُضع على أكمل وجه من التناسق والإحكام، دون إفراط أو تفريط، ودون زيادة أو نقصان. فالإحسان الإلهي في الخلق شامل لكل تفاصيل الكون: في حجمه وشكله، في تكوينه ووظيفته، في زمان ظهوره ومكانه، فلا خلل في نظامه ولا اضطراب في مساره، إنه نظام محكم دقيق يشهد على أن الجمال جزء من طبيعة الخلق الإلهي، ومظهر من مظاهر الكمال الرباني الذي لا يعتريه خلل أو نقص.

كما يؤكد الجمال المنتشر في أرجاء الكون بطلان فكرة العثية والصدفة؛ فوجود هذا الاتساق البديع، وهذا التوازن الدقيق يدل على قصدٍ حكيمٍ، وإرادةٍ مدبرةٍ وراء كل مخلوق؛ فالكون في منظوره القرآني ليس ساحة فوضى، بل لوحة فنية متكاملة العناصر، تتجلى فيها مقاصد الجمال والتنظيم والإبداع.

إن مظاهر التزيين والتنظيم التي تعمّ المخلوقات تدلّ بوضوح على وجود الإرادة والعلم والحكمة، إذ لا يمكن أن تصدر عن المصادفة العمياء، فكلّ ما في الكون - من انتظام النجوم، وتناسق الألوان، وتكامل الكائنات - ينطق بعناية الخالق وإحكامه، فيتحول الجمال بذلك من مجرد مشهد بصري إلى برهان عقلي وروحي على المقصد الإلهي من الخلق، وهو أن يدرك الإنسان عظمة الله من خلال آيات الجمال المنتشرة في هذا الوجود.

المطلب الخامس: سمات الجمال في القرآن الكريم

يُعدّ الجمال في التصور القرآني مظهرًا جوهريًا من مظاهر الإبداع الإلهي، وسمة أساسية تطبع الوجود كله، إذ يظهر أثره في كل ما أبدعه الله تعالى من كائنات، وهو مما تدركه الفطرة السليمة والنفس المستقيمة في أول نظرة، فتأنس به وتستجيب له شعوريًا

وروحياً. وعند التأمل في آيات القرآن الكريم، يتبين أن للجمال سمات مميزة تُعبّر عن مقاصده الكبرى في الخلق.

السمة الأولى: السلامة من العيوب

تُعدّ السلامة من النقص أولى سمات الجمال وأوضحها، إذ لا يكتمل الجمال إلا إذا تنزّه عن العيب والخلل، ومن الشواهد القرآنية الدالة على ذلك ما ورد في وصف بقرة بني إسرائيل، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظَّارِينَ﴾ [البقرة: 69]، فالجمال هنا ظاهر للعيان، تسرّ به الأبصار لما فيه من صفاء اللون وبهجته، ثم جاء قوله سبحانه: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾، إشارة إلى تمام سلامتها من أي عيب أو خلل⁽¹⁾. وهذا المعنى يتكرر في مظاهر الخلق الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6]، وفي قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: 3]. فهذه الدعوة إلى إرجاع البصر وتكرار النظر تهدف إلى ترسيخ الإقرار بأن الخلق الإلهي محكم لا خلل فيه، متوازن لا تفاوت بين أجزائه.

ومن هنا يمكن القول إن الجمال لا يتحقق إلا بتمام التناسق وسلامة البنية من العيب، وهي قيمة حتّ عليها القرآن في الإنسان وعمله، إذ لا يوصف العمل بالصلاح والجمال إلا إذا خلا من النقص.

السمة الثانية: القصد

يقوم الجمال في المنظور القرآني على مبدأ القصد، أي نفي العبث والعشوائية عن مظاهره، فكل ما في الكون مخلوق لحكمة وغاية، وقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: 27]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: 16]. فالجمال في النظام الإلهي ليس اعتباطياً، بل هو مقصود لحكمة تربوية وروحية، تؤكد أن الكون قائم على الحق والتوازن.

(1)- ينظر: أبو عبد الله القرطبي، تفسير القرطبي، ط: 1، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1964 م، ج 1، ص: 454.

ومن مظاهر نفي العبث ما ذكر في قصة قوم عاد حين أقاموا الأبنية الضخمة لمجرد التفاخر، فسوّى القرآن فعلهم عبثاً؛ لأن العمل الجمالي في المنظور الإسلامي لا ينفصل عن غايته الأخلاقية والوظيفية.

السمة الثالثة: التناسق

من أبرز خصائص الجمال في القرآن الكريم أنه يقوم على مبدأ التناسق الدقيق بين أجزاء الكون، وهو تناسق لا يقتصر على انتظام العلاقات الطبيعية، بل يتعداه إلى تكامل الصورة الجمالية للوجود؛ فالقرآن يصوّر هذا التناسق في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: 45]، وهي آية تبرز انسجام الظواهر الكونية ضمن نظام محكم؛ فحركة الظل، وامتداده وقبضه، نتاج توازن دقيق بين حركة الشمس والأرض. إن التناسق في الكون لا يحقق النظام فحسب، بل يجسّد أيضاً جمالاً بصرياً وروحياً، تنعكس من خلاله حكمة الخالق وقدرته.

السمة الرابعة: التنظيم

يرتبط الجمال في القرآن بالنظام المحكم الذي يسود الخلق، وهو تنظيم يظهر في أدق مظاهر الوجود، كما في قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: 164-166]. فالملائكة مصطفون في عبادة منسقة تعبّر عن الجمال والانضباط في آن واحد، وكذلك المؤمنون في صلاتهم وجهادهم، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ﴾ [الصف: 4]. إن هذا التنظيم يعكس جمال النظام الإلهي الذي يجمع بين الغاية والوظيفة، ويُنتج تماسكاً يجعل الجمال أداة لتحقيق الانسجام الاجتماعي والتكامل الإنساني.

السمة الخامسة: التنوع

ومن أبرز سمات الجمال التي يبرزها القرآن التنوع، إذ يُعدّ الاختلاف في الأشكال والألوان والأصوات مظهرًا من مظاهر الجمال الإلهي في الخلق، ودافعًا لتأمل قدرة الله وتنوع إبداعه. يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ... وَالرَّيْثُونَ وَالرُّمَانُ مَشْتَبِهًا وَغَيْرُ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 98-99]. فالآية تجمع بين الوحدة الأصلية للنفس الإنسانية

والتنوع الهائل في المظاهر الحياتية، لتؤكد أن الجمال لا يتحقق بالتمائل، بل بالاختلاف المنسجم الذي يبعث على التأمل والمتعة؛ فالتنوع في الألوان والأشكال والأصوات سنّة كونية ترسخ الجمال وتدفع الملل، وتدلّ على أن الجمال في التصور القرآني مرتبط بالثراء والاختلاف لا بالتكرار والجمود.

من خلال ما سبق يتبيّن أن الجمال في القرآن الكريم ليس مجرد مفهوم تجريدي، بل هو مبدأ كوني وأخلاقي متكامل، يجمع بين الإتقان، والنظام، والتناسق، والتنوع، ويقود الإنسان إلى إدراك مقاصد الخلق في أسمى صورها.

خاتمة:

بعد استقراء الآيات القرآنية وتحليل دلالاتها الجمالية، يمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها فيما يأتي:

- الإحساس بالجمال أمر فطري في النفوس.
- الرؤية القرآنية للجمال متكاملة وشاملة، تمتد من الجمال الحسي في المخلوقات إلى الجمال المعنوي في القيم والأفعال والسلوكيات.
- الجمال في الكون دليل على وحدانية الله وعظمته.
- الجمال في منظور القرآن الكريم ليس ترفاً بصرياً ولا عبثاً شكلياً، بل مقصود لغايات تربية وروحية وإنسانية.
- يُظهر القرآن الكريم أن الشعور بالجمال وسيلة لتزكية النفس وترقيتها، إذ يُنمي في الإنسان روح التأمل والاعتراف بفضل الخالق.
- سمات الجمال القرآني تتمثل في السلامة من العيوب، والتناسب، والتنظيم، والقصد، والتنوع، وهي خصائص تعبّر عن الكمال الإلهي في الخلق والتدبير.
- يعزز التصور القرآني للجمال بناء الإنسان المتكامل: العابد المتأمل، المنتج المتقن، والمجتمع المتناغم مع سنن الكون.

وبذلك يظهر أن الجمال في القرآن الكريم ليس ميداناً للذوق وحده، بل هو مظهر من مظاهر الهداية، وأحد مسالك الوصول إلى معرفة الله تعالى عبر التأمل في آياته الكونية والبيانية.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد البيرودي، جماليات تناسب اللفظ والصورة في القرآن لفظة "خاوية" دراسة جمالية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مجلد 31، عدد 1، 2023.
- أبو عبد الله القرطبي، تفسير القرطبي، ط:1، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1964 م.
- صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ط1، المكتب الإسلامي، سوريا، 1986 هـ.
- محمد البكوش، النظرة الجمالية في التعبير القرآني، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث .مجلة اللغة العربية وآدابها المجلد الأول العدد الرابع سبتمبر 2022م.
- إبراهيم أنس، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م.
- ابن منظور، لسان العرب، ط:1، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ط:1، دار العلم للثقافة، القاهرة، (د.ت).
- زكي نجيب محمود، هموم المثقفين، ط:1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1989.
- عبد القادر بوعرفة، سؤال المعنى، ط1، دار الغرب، وهران، 2005.
- محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ط:1، ت: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1963.